فكتوريا

ملكة الانكليز وامبراطورة الهند

٥

تتويجها

كان تاج الملك وليم الرابع عم الملكة فكتوريا كبيراً ثقيلاً لا يحسن ان تتوّج به فصنعوا لها تاجاً صغيراً يصلح لرأسها ويقدّر ثمن ما فيه من الحجارة الكريمة بمئة وثلاثة عشر الف جنيه. وتوجت به بعد ان نودي بها ملكة بسنة وثمانية ايام وكان لتتويجها احتفال لم يكن لهُ مثيل اجتمعت لهُ انكلترا كلها

قال المستر غراڤل كاتب المجلس الخاص ما ترجمتهُ "لم ترَ هذه العاصمة (لندن) في وقت من الاوقات كما تُرى الآن فكأن عدد سكانها قد تضاعف خمسة اضعاف بغتةً. والجلبة والضوضاء مما يفوق الوصف والفرسان والمشاة والمركبات تزدحم وتختبط والناس يرقون السواري وينصبون الاعلام واصوات المطارق تصمُّ الآذان والمدينة كلها ازدحام واضطراب والناس كالبناء المرصوص يموجون كالبحر ويتلفتون بغتةً ويسرةً. والروض مملوءٌ بالخيام والاعلام ولا تزال الطرق غاصة بالواردين الى المدينة والمركبات مزدحمة بهم والمناظر كلها غريبة مدهشة ولكنَّ المرء يودُّ ان ينقضي امرها وتزول باسرع ما يكون"

واصبح الصباح يوم الاحتفال والامطار تهطل والمدافع تُطلق وخرجت الملكة من قصر بكنهام الساعة العاشرة صباحاً بموكب يعزُّ نظيرهُ وسارت سيراً رئيداً بين صفوف الجماهير وهم يحيونها بالهتاف ويحسبون انها اول مرةٍ صار فيها الملك للشعب لا الشعب للملك الى ان بلغت كنيسة وستمنستر حيث يتوّج ملوك

الانكليز . وكانت الكنيسة قد زينت زينة تعجز القلم عن وصفها افرغ فيها الصناع اقصى مهارتهم وجمعوا بين ابهة الملك وعظمة الديانة . وانتظم في ذلك البهاء الفاخر نخبة رجال الانكليز ونساؤهم رجال السيف ورجال القلم رجال الحرب والسياسة . رجال الثروة والجاه رجال الصناعة والتجارة وكل حسناء فتاة . ولما وصلت الملكة الى باب الكنيسة قابلها الاساقفة وقدمها رئيس اساقفة كنتربري الى الكعب قائلاً اقدم اليكم ايها السادة الملكة فكتوريا ملكتكم هذه الملكة التي لا ريب في صحة دعواها فهل تعاهدونها عهد الطاعة فاجابوه داعين لها بطول البقاء . ويقال انهُ فيما كان التاج يوضع على رأسها انكشفت غيوم السماء وبان وجه الشمس ودخلت اشعتها الكنيسة وانعكست عن جواهر التاج فتلألأ تلألؤاً بهر الابصار وقال بعض الناس ان ملكها سيكون بهيجاً كنور الشمس

وقال المستر غرانفل بتاريخ ٢٩ يونيو انقضى الاحتفال ولله الحمد ولم يكن الهواء حاراً ولا بارداً . وكان الازدحام شديداً في الشوارع ولكن النظام كان سائداً ولم يحدث ما يكدّر الصفاء . ثم وصف كيفية الاحتفال داخل الكنيسة وقال ان القائمين به اضطربوا في امرهم حتى لم يكونوا يدرون ما يعملون مثال ذلك ان خاتم الياقوت الذي وضع في أصبع الملكة حينئذٍ صغر فخنصرها فقال رئيس الاساقفة ان الرسوم تقضي بوضعهِ في البنصر لا في الخنصر فادخلهُ في بنصرها بغصب فالمها كثيراً واضطرت بعد ذلك ان تغطس يدها في ماء مثلوج حتى امكنها اخراجهُ

وقبل ان مُسحت بالزيت وأُلبست تاج الملك وقف رئيس الاساقفة امامها وسألها عمّا اذا كانت تحكم بلادها حسب دستور البارلمنت وشرائع البلاد وقوانينها وعوائدها وعمّا اذا كانت تقرن الشريعة بالعدل والرحمة وعمّا اذا كانت تقيم حدود الله وتحافظ على حقوق خدمة الدين فركعت امام التوراة ووضعت

يدها عليها واقسمت انها تفعل ذلك بكل جهدها وكان لورد ملبرن واقفاً بجانبها ويده سيف المملكة والى يساره عمها دوق سسكس ووراءه دوق ولنتن القائد الشهير وحولهم امراء المملكة وعظماؤها ويرى كل ذلك واضحاً في الصورة المدرجة على الصفحة التالية . ثم مسحها رئيس الاساقفة بالزيت على جبينها ويديها وقال لتمسحي بالزيت المقدس ملكةً على هذا الشعب الذي اعطاكِ اياهُ الرب الهكِ لتملكي عليهِ كما مُسح الملوك والكهنة والانبياء من قبلكِ . وقدَّم لها لورد ملبرن سيف المملكة ثم افتداهُ منها بخمسة جنيهات حسب عوائد البلاد . وأُلبست حلَّة الملك وخاتمهُ واعطيت الكرة والصولجان ووضع رؤساء الكهنة التاج على رأسها وللحال وضع الامراء والعظماء تيجانهم على رؤوسهم واطلقت المدافع وصدحت الآلات الموسيقية بالنشيد الوطني وأُجلست على عرش الطاعة ودنا منها رئيس اساقفة كنتربري وجثا على ركبتيهِ بالنيابة عن رؤساء الدين ثم قبَّل يدها وتبعهُ سائر رؤساء الكهنة في تقبيل يدها وتلاهم عمَّاها دوق سسكس ودوق كمبردج فرفعا تاجيهما وخضعا لها ولمسا تاجها وتلاهم سائر الامراء والعظماء . وكان رئيس كل فريق منهم يقسم يمين الطاعة نيابة عن فريقهِ . وكان بينهم امير اسمهُ لورد رول كان شيخاً جاوز الثمانين فعثر وهو صاعد على درج العرش وسقط فانهضهُ اثنان من الامراء وساعداهُ على الصعود ورأت الملكة ذلك فنهضت عن عرشها ودنت منهُ ومدَّت اليهِ يدها لتساعدهُ على الدنو منها ورأى الناس ذلك فسرَّهم عملها وهتفوا لها بالدعاء . وجرت رسوم أُخرى لا داعي لبسطها هنا وتمَّ الاحتفال نحو الساعة الرابعة بعد الظهر وعادت الملكة الى قصر بكنهام وتاج الملك على رأسها والصولجان في يدها وعاد معها الامراء والعظماء وتيجانهم على رؤوسهم رجالاً ونساء . ولا تسل عن بهاء ذلك المشهد وما فيهِ من الابهة والمجد . وكانت الشوارع

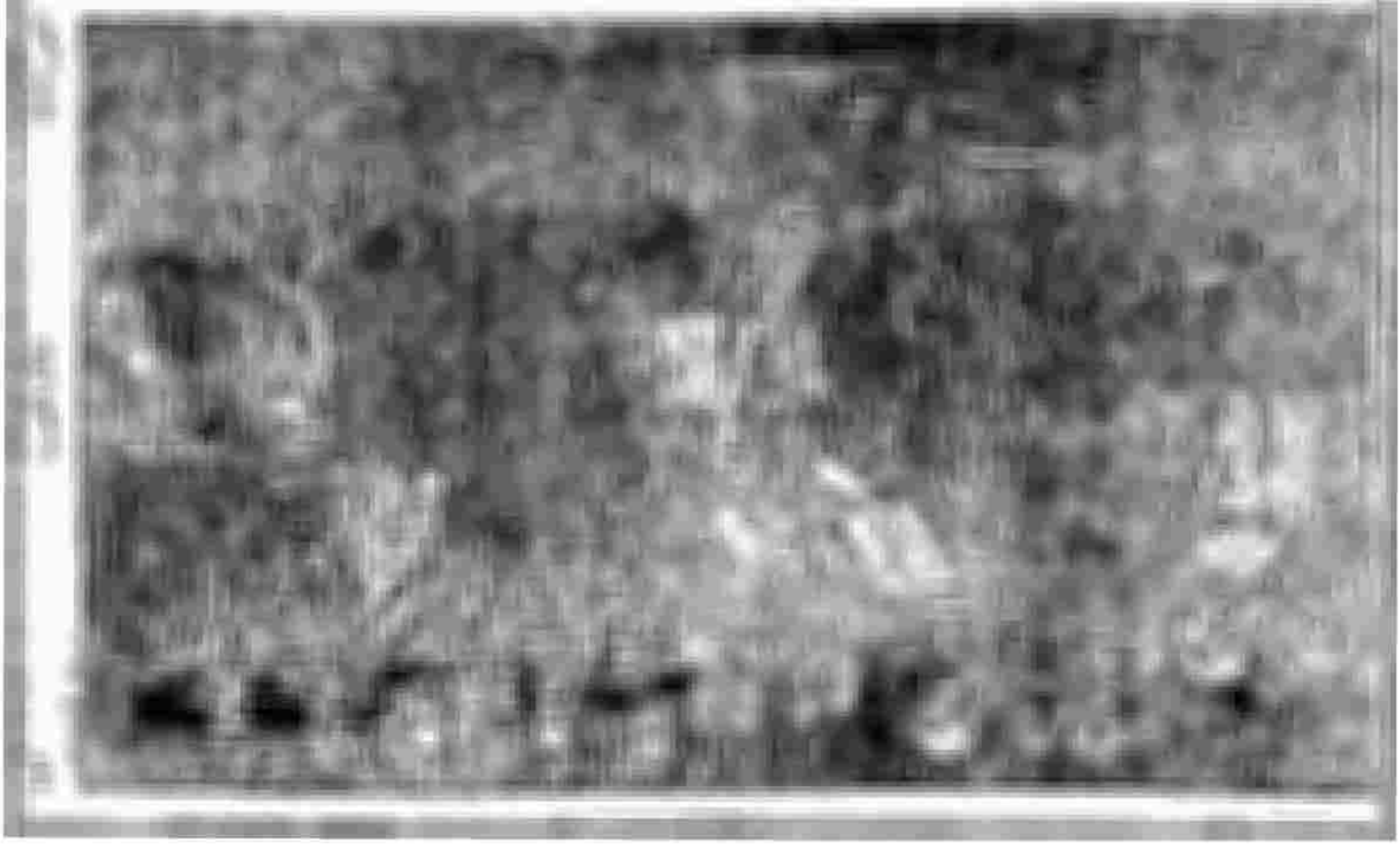

والكوى والشرفات والسطوح المشرفة على الشوارع التي سار الموكب فيها غاص بالجماهير وهم يهتفون هتاف الفرح والابتهاج

واولمت الملكة وليمة فاخرة تلك الليلة لمئة من رجالها واولم رجال الدولة ولائم عظيمة احتفالاً بتتويجها

وبلغت النفقات التي انفقتها الحكومة على تتويج الملكة سبعين الف جنيه ودفع الشعب مئتي الف جنيه اجرة للاماكن التي وقفوا فيها لمشاهدة موكب الاحتفال

٦

زواج الملكة

قلنا في فصل سابق ان الملكة رأت البرنس البرت ابن خالها ارنست وعزمت ان تقترن به ولكنها لما تربعت في سرير الملك شغلتها مهامهُ عن الزواج فكتبت الى خالها ليريولد ملك البلجيك انها صرفت فكرها عن الزواج حينئذٍ وانها لا تقدر ان تهتمَّ به قبل بضع سنوات . وبلغ البرنس البرت ذلك فقال لخاله انني انتظرها كما تريد اذا كنتُ واثقاً انها تقترن بي بعد ذلك ولكنني لا اريد ان انتظرها بضع سنوات ثم اجد انها عدلت عن الزواج فاصير هزءًا في الدنيا ومضغةً في افواه الناس

وحدث في تلك الاثناء ان استعفت وزارة ملبرن لانها غُلبت في مجلس النواب فحزنت الملكة من جراء ذلك واستدعت دوق ولنتن ليشكل وزارة جديدة واخبرتهُ بحزنها على استعفاء الوزارة القديمة ولاسيما على استعفاء رئيسها لورد ملبرن لما كانت تراهُ فيهِ من صدق النصح ولين العريكة . فسرَّ ولنتن بما ابدتهُ لهُ من حريةِّ الضمير وقال لها انهُ لا يستطيع ان يشكل وزارة لكبر سنهِ

وضعف سمعهِ ولكنهُ نصح لها ان تستدعي السر روبرت بيل وتطلب منهُ تشكيل الوزارة . فكتبت تدعوهُ اليها فحضر وقبل بتشكيل الوزارة الجديدة واقترحت عليهِ اموراً اجراها حالاً لكنهُ قال لها انهُ لا بدَّ من ابدال بعض السيدات القائمات على خدمتها بغيرهنَّ من السيدات اللواتي حزبهنَّ السياسي لا يخالف حزبهُ لكي لا يعرقلنَ مساعيهُ فأبت عليهِ ذلك واصرَّت على الاباءة فقال لها انهُ يستشير اخوانهُ في هذا الامر وانصرف وهو يرى ان تشكيل الوزارة على تلك الحال ضرب من المحال فعادت وزارة ملبرن الى منصَّة الاحكام والامة غير راضية عنها وكثر القيل والقال بسبب ذلك

وبلغ الملك ليوبولد ومشيرهُ البارون ستكمار ما جرى فرأيا ان الملكة امست في مركز حرج امام وزرائها فلاما لورد ملبرن وبادرا الى رفء الخرق قبل اتساعهِ وحسبا ان لا بدَّ للملكة من مشير حكيم يخلص لها النصح وتجد من نفسها ارتياحاً الى اتباع مشورتهِ . وكان البارون ستكمار واثقاً انها اذا رأت البرنس البرت حينئذٍ تذكرت ماضي حبها لهُ ودعتهُ ليكون زوجاً لها وشريكاً في السراء والضراء فاتى البرنس البرت واخوهُ البرنس ارنست الى بلاد الانكليز فرحبت بهما ولما وقع نظرها على البرنس البرت وكان قد صار رجلاً بارع الجمال تلوح على وجههِ مخائل النجابة والهمة كتبت الى خالها الملك ليوبولد في اليوم التالي تقول ان جمال البرت يفوق الوصف وهو على جانب عظيم من الانس والطلاقة وهو واخوهُ غاية في اللطافة والانس المحضر وقد سرَّني مجيئهما الى هنا

والقوانين المتبعة في بيوت الملك تقضي ان تكون الملكة هي البادئة في مخاطبة من تريد الاقتران بهِ فدعتهُ اليها بعد ايام قليلة وسألتهُ عمَّا اذا كان يريد ان يقاسمها افراح الحياة واحزانها فاجابها بالايجاب وكتبت ذلك اليوم الى خالها تقول

خالي الاعز

لا بدَّ من انك تسرُّ بكتابي هذا لانك كنت دائماً تعرب عن سرورك واهتمامك بكل ما يخصُّني بي . قد عقدت النية الآن على الاقتران بالبرت واخبرته بذلك وسررت جدًّا بما بدا منهُ من دلائل الحب الصادق واني اراهُ عين الكمال واعتقد اني ساكون سعيدة به . وسابذل جهدي لاخفف عليهِ الحسارة التي سيخسرها لاجلي . واراهُ شديد الدربة وذلك لازم جدًّا لمن كان في منصبهِ . وقد مرَّت هذه الايام القليلة كأنَّها احلام وتركتني مضطربة في امري حتى لا ادري كيف اكتب اليك ولكنني مسرورة جدًّا . ولا بدَّ من كتم هذا الخبر فلا تخبر بهِ احدًا الاَّ خالي ارنست (ابو البرنس البرت) حتى يجتمع البرلمنت والاَّ حُسب عدم جمعي البرلمنت واطلاعهِ على هذا الامر اهمالاً مني

وقد استشرت لورد ملبرن في كل شيء فصوَّب رأيي واظهر السرور التام وجرى في هذه المسألة كما جرى في غيرها باللطف التام واستحسنَّا انا والبرت ان يكون اقتراننا في اوائل فبراير (شباط) المقبل بعد اجتماع البرلمنت

وختمت كتابها بعد ان اباحت لهُ ان يخبر البارون ستكمار بذلك فاجابها في الرابع والعشرين من الشهر بما ترجمتهُ

ما كنت لأُسرَّ بشيء كما سُررت بكتابكِ وكدتُ اقول كما قال الشيخ سمعان " الآن تطلق عبدك يا سيد بسلام " فقد اخترتِ مَن كنتُ واثقًا انهُ اصلح لراحتكِ من كل احد . ولانني كنت مقتنعًا بذلك تمام الاقتناع كنتُ اخشى ان لا يتم لان الدهر كثيرًا ما يعكس الآمال

وانتِ في منصبكِ السياسي المحفوف بالمتاعب لا يمكنكِ ان تستغني عن الراحة والسعادة اللتين يجدهما الانسان في بيتهِ وانا واثق ان في البرت من المناقب

ما يلزم لسعادتكِ وما يناسب اخلاقكِ وطبعكِ

ولقد قلتِ انهُ يخسر كثيرًا اذا اقترن بكِ وهذا صحيح من وجوه كثيرة لانهُ يكون في مركز حرج جدًّا ولكن خسارتهُ وربحهُ يتوقفان عليكِ فان كنتِ تحبينهُ وتكرمينهُ سهل عليهِ ما يجدهُ في هذا الموقف الحرج وهو صبور رضيُّ الاخلاق فلا يصعب عليهِ ذلك

وقد استحسنتُ رأيكِ في كتم الامر الى حين اجتماع البارلمنت لان جمع اعضائهِ الآن ليس بالامر السهل عليهم

وكتب البرنس البرت بعد ذلك بايام الى جدتهِ يقول

جدتي العزيزة

اخذتُ القلم ويدي ترتجف لانني اخشى ان ما سأُخبركِ بهِ يجعلكِ تفكرين بامرٍ آخر يؤلمكِ كما يؤلمني وهو الفراق . فقد تمَّ الامر الذي كنا نتذاكر فيهِ. استدعتني الملكة منذ ايام وقالت لي صريحًا انني انيلها اقصى السعادة اذا امكنني ان اقاسمها سرَّاء الحياة وضراءها ولو كان في ذلك خسارة كبيرة عليَّ . وقالت ان الامر الوحيد الذي يكدِّر صفاء عيشها هو انها لا تحسب نفسها اهلاً لي. قالت ذلك على اسلوب سحر لبي ببساطتهِ فلم ارَ لي بدًّا من التسليم لها واني اثق اننا سنعيش عيشة راضية

وكتب الى البارون ستكمار يجيبهُ على كتاب بعث بهِ اليهِ فقال "تمت نبوءتك باسرع مما كنا ننتظر وقد حفظتُ وصيتك الصالحة من قبيل الاساس الذي تُبنى عليهِ راحتي وسعادتي . وهذه الوصية تنطبق على المبادىء التي اتخذتها اساساً لاعمالي اي ان اكون في آدابي وسلوكي مستحقًّا لرضى الملكة وشعبها وحبهم وثقتهم . فاذا كنتُ كذلك وبدا مني قصور او تقصير وجدتُ من يُقيل عثرتي

لانهُ مهما كانت الاعمال عظيمة والغايات نبيلة لا يرتفع بها مقام المرء ما لم يكن فيهِ من الاخلاق ما يحمل الناس على الثقة بهِ . فاذا اثبتت اعمالي اني اميرٌ نبيل كما تنتظر مني سهُل عليَّ السلوك الحسن المقرون بالحكمة والسداد واجتنيتُ ثمارهُ الصالحة . واني اراني شديد العزيمة لكي اتحلَّى بافضل المناقب ولكن لا بدَّ لي من النصح الصالح ومَن اقدر منك عليهِ فخبذا لو استطعتَ ان تتقطع الى ارشادي ولو في السنة الاولى من قيامي في هذه البلاد "

هذه كتابة شابٍّ في العشرين من عمرهِ . وغنيٌّ عن البيان ان مَن كان في هذا السن وبدت منهُ هذه الشمائل وخطَّ قلمهُ هذه الحكم حيث لا داعي الى التصنُّع والمراءاة لجدير بان توسَّد لهُ المناصب السامية ويكون شريكًا لاعظم ملكة ورئيسًا على بيتها

وكان يعلم علم اليقين ان مركزهُ سيكون حرجًا جدًّا بعد اقترانهِ بالملكة لان مقامهُ الزوجي اعلى من مقامها ولكن الشعب الانكليزي لا يرضى الاَّ ان يبقى مثل واحد من رعيتها . اما هو فساد بيتهُ كما يحق للرجل الفاضل الحكيم بالصبر والرزانة والدعة وساعدهُ على ذلك تعقُّل الملكة وحسن نظرها في العواقب . والفضل كل الفضل للحب المشترك الذي ساد عليهما كليهما وقادهما في سبيل الوفاق والوئام وابعد عنهما كل اسباب الجفاء والخلاف

ويقال انهُ لما جرى الاحتفال بقرانهما سألها الاسقف عمَّا اذا كانت تبيح لهُ قراءة فصل من الكتاب المقدس تؤمر فيهِ المرأة بطاعة زوجها وهو يُقرأُ عادة في صلاة الزواج فقالت " اني اقترن كامرأة لا كملكة فلا تحذف شيئًا من قول الكتاب " . وهو جواب حكمة وسداد لا يصعب على من تقولهُ في مثل ذلك الموقف ان تعيش مع زوجها كزوجة لا كملكة وقد عاشت كذلك كما سيجيء

ودعت اعضاء مجلسها الخاص الى قصر بكنهام واخبرتهم بما تمّ من امر الخطبة . وهذه ترجمة ما تلتهُ عليهم حينئذٍ

"جمعتكم الآن لكي اخبركم بما عزمتُ عليهِ في امر لهُ ارتباط شديد بخير شعبي وبسعادة نفسي . فقد عزمت ان اقترن بالبرنس البرت السكسوني وعلمت ان الامر هامٌ جدًّا ولذلك لم اقدم عليهِ الاَّ بعد التبصر الطويل وبعد ان تحققتُ انهُ يدعو الى راحتي البتية ويخدم مصالح بلادي ببركة الله القدير . وقد رأيتُ ان اطلعكم على ذلك في اول فرصة لكي تعلموا هذا الامر الهام لي ولمملكتي والذي اشعر من نفسي انهُ مقبول جدًّا لدى رعيتي المحبوبة"

وكتبت في يوميتها حينئذٍ تقول في الساعة الثانية تمامًا دخلت المجلس وكان غاصًّا بالحضور وانا لا اعلم من هم وشاهدت اللورد ملبرن بينهم وعيناهُ مغرورقتان بالدموع فتلوت عليهم الخبر ويداي ترتجفان وفرحت لما اتيت على آخرهِ ثم قام اللورد لنسدون (رئيس المجلس الخاص) وطلب مني باسم المجلس ان اسمح بطبع هذا الخبر ونشرهِ

وفرح الشعب الانكليزي بذلك فرحًا عظيمًا لانهم كانوا يخشون ان تعيش ملكتهم عزبة كالملكة اليصابات الشهيرة فتموت بلا عقب ويخلفها ملك هنوفر لانهُ كان الوريث الوحيد لها ولم يكن محبوبًا لدى الشعب الانكليزي

ولما اجتمع البرلمنت بعد ذلك (في ١٦ يناير) القتهُ الملكة نفسها واعلنت فيهِ خطبتها فهنأها اعضاؤهُ جميعًا . واقترح لورد ملبرن ان يجعل راتب البرنس البرت خطيبها خمسين الف جنيه في السنة فلم يقر البارلمنت الاَّ على ثلاثين الف جنيه . وعين لهُ الوزير ملبرن سكرتيرًا ليكون معهُ ويطَّلع على كل امورهِ وهو سكرتير اللورد ملبرن الخاص فغاظهُ ذلك اولاً ولاسيما لانهُ كان يكره الانحياز

الى حزب من الاحزاب ولكنهُ عاد فرأى ذلك السكرتير موضع ثقة فسُرَّ به واعتمد عليهِ

وعين يوم الزواج وكان البرنس البرت قد عاد الى بلادهِ فأتى منها مع ابيهِ واخيهِ وقوبل باحتفال عظيم ودخل في الرعوية الانكليزية وزار اعضاء العائلة المالكة ولقي منهم كل انس ووداد

وجرى الاحتفال بصلاة الاكليل ظهيرة العاشر من شهر فبراير سنة ١٨٤٠ في كنيسة قصر سنت جمس ونقاطر الناس لمشاهدة موكب الزفاف في ذهابهِ الى الكنيسة وايابهِ منها . وقام رئيس اساقفة كنتربري بصلاة الاكليل وعاد الموكب الى قصر بكنهام الساعة الثانية بعد الظهر وانتظم حول المائدة الملكية. وبعد الطعام ذهبت الملكة وزوجها البرنس البرت الى قصر وندزور وهو الى الجنوب الغربي من مدينة لندن على ضفة نهر التيمس اليمنى . والقصر قديم من قبل ايام وليم الظافر ولكنهُ تجدَّد مرارًا كثيرة واضيفت اليهِ مباني فخيمة وحولهُ رياض نضرة وغياض يكثر فيها الصيد . وترى في الشكل التالي على الصفحة التالية صورة عرش الملكة في احدى مقاصير هذا القصر

واحتفلت البلاد الانكليزية احتفالاً باهرًا بزفاف الملكة ووقفت الجماهير على الطريق المؤدي الى قصر وندزور يحيون العروسين باصوات المتاف ويدعون لهما بالعيش الرغيد والعمر المديد

(٧)

البرنس البرت زوج الملكة

ولد البرنس البرت في السادس والعشرين من شهر اغسطس سنة ١٨١٩ واقترن بالملكة فكتوريا في العاشر من فبراير سنة ١٨٤٠ كما تقدم واصيب بالحمّى

التيفويدية وتوفي في الرابع عشر من دسمبر سنة ١٨٦١ وهو الابن الثاني من اولاد البرنس ارنست دوق سكس كوبرج من نسل منتخبي سكسونيا

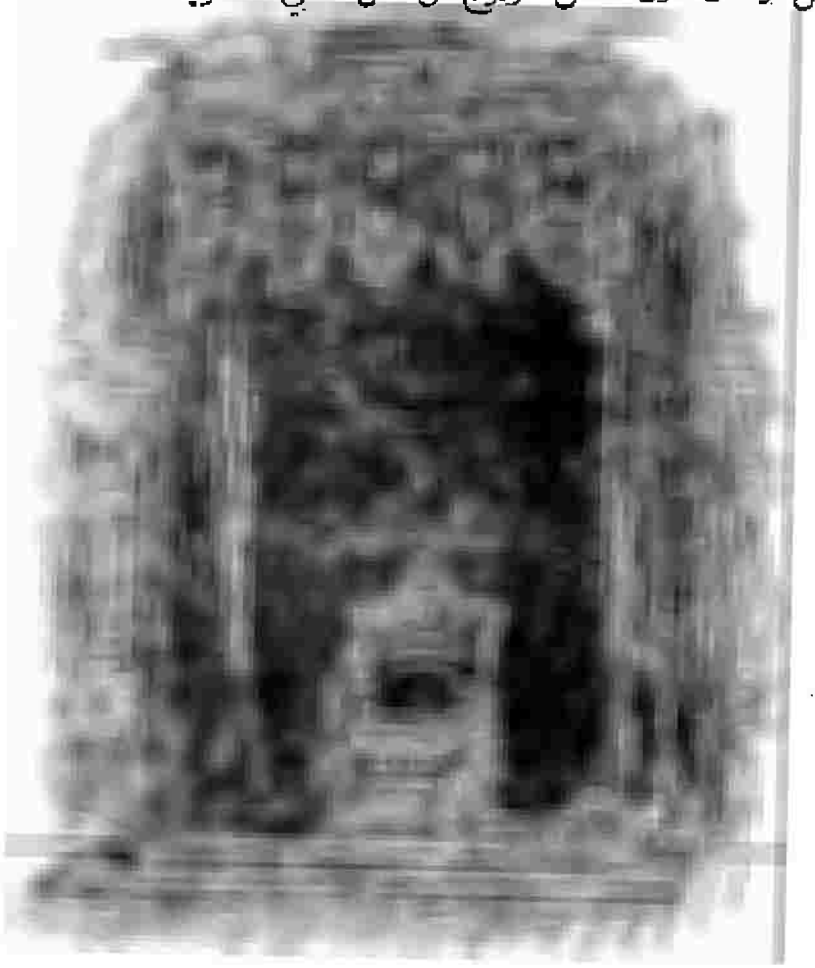

عرش الملكة في نصر وندزور

وبدت على هذا البرنس مخايل النجابة من صغره فبرع في دروسه الكثيرة وامتاز بالصلاح من نعومة اظفاره وكان يسعى جهده ليعين غيره ويذكر كل صنيعة تصنع له بالشكر والامتنان مهما كانت طفيفة . ولما كان له ست سنوات

من العمر بلغهُ ان رجلاً مسكيناً احترق بيتهُ فأخذ يجمع لهُ المال من المحسنين ولم يهنأ لهُ عيش حتى جمع لهُ ما يكفي لبناء بيتهِ ثانيةً . وبذا خلق الاحسان فيهِ بتقدمهِ في السن حتى صار ديدناً لهُ

وكان اخوهُ ارنست اكبر منهُ بسنة وقد ربيا معاً وعاشا كروح واحدة في جسمين ولذلك شقَّ عليهِ فراقهُ كثيراً لمَّا قضى عليهِ اقترانهُ بالملكة ان يقيم في البلاد الانكليزية بعيداً عنهُ . وقد اشارت الملكة الى ذلك مراراً في يوميتها وعبرت عنهُ على اسلوب يحق ان يكون انموذجاً لكل زوجة . قالت ما اشدَّ ما اشعر بهِ نحو زوجي العزيز فقد ترك اباهُ واخاهُ وبلادهُ لاجلي فاسأل الله ان يأخذ بيدي ويتمم عليَّ حتى اجعلهُ يسلو الذين فارقهم لاجلي وسابذل جهدي في هذا السبيل

وكان مع ذكائهِ ونجابتهِ ولين قلبهِ شجاعاً مهاباً من حداثتهِ . قيل انهُ كان يلعب مع اترابهِ وهو فتى صغير السن فتناولوا الهجوم على برج قديم وقال واحد منهم هلمَّ ندخل البرج من ثغرة وراءهُ فقال لهم كلاَّ لا يليق بفرسان مثلنا ان يهاجموا عدوَّهم الاَّ مواجهةً . ولما اقام في البلاد الانكليزية عُرف انهُ من افرس الفرسان واصبرهم على متون الجياد . وكان مغرماً بالصيد والقنص ولكنهُ كان يكره قتل الحيوانات لرقة قلبهِ

ولما اقترن بالملكة رأى ان لابدَّ لهُ من تجنُّب المشاكل الكثيرة التي يدعو اليها انحيازهُ الى حزب من حزبي المملكة فتجنبهما كليهما وجعل نفسهُ فوق الاحزاب السياسية وكتب الى ابيهِ سنة ١٨٤١ يقول كل ما يمكنني ان اقولهُ عن مركزي السياسي الآن هو انني ادرس المسائل السياسية الحاضرة باجتهاد عظيم واتجنب كل حزب سياسي واهتم بكل الجمعيات والنوادي العمومية واكلم الوزراء جهاراً في كل المواضيع لكي يكون لي الملم بها كلها ولا اجد منهم الاَّ كل لطف ودعة وغرضي

ان اساعد فكتوريا في منصبها بكل طاقتي

ولم يمضِ وقت طويل حتى صارت الملكة تعتمد عليهِ في كل المسائل وتعمل برأيهِ في حل المشاكل حتى لما توفاهُ الله قالت انني ساشرع الآن في حكمي من جديد . قال المستر غراڤل سكرتير المجلس الخاص ان اللقب كان للملكة واما ادارة شؤون المملكة فكانت بيد زوجها . وقال دزرائيلي السفير سكسونيا لما توفي البرنس البرت "قد دفنّا الآن ملكا فان هذا الامير الالماني قد حكم انكلترا احدى وعشرين سنة وكان في حكمهِ احكم من كل ملك من ملوكنا ولقد كان وزيرًا للملكة كل مدة حياتهِ معها ولو بقي حيًّا الى بعد وفاة فريق من وزرائنا المحنكين لنلنا بهِ فوائد الحكومة المستقلة المضمونة بكل الضمانات الدستورية. اما نحن الاحداث الذين يحق لنا الانتظام في مجلس الوزراء فكل واحد منا يعترف للبرنس البرت بالفضل والتقدم ولا نعلم ما يأتي بهِ الغد ونحن من اليوم سائرون في ليل بهيم يحيط بنا الظلام من كل ناحية ". وقال المسيو دورين ده ليس السياسي الفرنسوي. " ان الحكومة الانكليزية لم تفقد البرنس البرت منصبًا سياسيًّا ولكنهُ ساس البلاد بفضائلهِ الشخصية والعمومية بحبتهِ لكل ما هو صالح بفعلهِ السامي ومعارفهِ الواسعة . وفضائلهِ الشخصية رفعت لهُ عرشًا لا ينازعهُ فيهِ احد عرشًا في مملكة العلم والصناعة لا تصل اليهِ اضطرابات السياسة " . وقال غيرهُ من مشاهير الكتاب ان البرنس البرت كان يعرف احوال البلاد والزمان فترك مشاغل الاحزاب السياسية للذين يسرُّون بها ووقف نفسهُ على ما هو اسمى منها على المطالب العلمية والمنافع العمومية حيث لا ينازعهُ احد في سلطتهِ فصار عرشًا ماديًّا ليقيم لنفسهِ عرشًا عقليًّا ادبيًّا وسنأتي على طرف من اعمالهِ في ما يلي من الفصول عن سيرة الملكة واحوال البلاد في ايامها